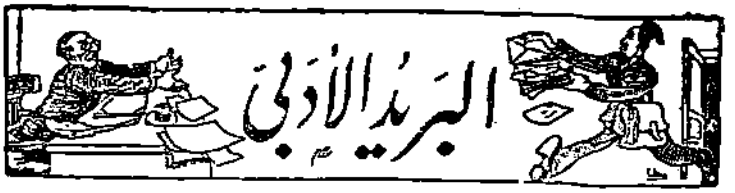

١ — لابن المقفع لا للخليل

صوب الأستاذ بداري اعتماداً على رواية الجاحظ نسبة هذه الجملة إلى ابن المقفع : « الذي أرضاه لا يجيئني ، والذي يجيئني لا أرضاه » يعني الشعر . وكان الأستاذ الكبير العقاد نسبها إلى الخليل في بعض مقالاته

وأقول : إن ذلك لا يمنع من صحة نسبتها للخليل مع تغاير في الألفاظ . جاء في الجزء الثالث من العقد : قيل للخليل : مالك لا تقول الشعر ؟ قال : « الذي أريده لا أجده ، والذي أجده منه لا أريده » فالمعنى والصياغة متحدان في الجملتين ، ولعل الاختلاف في اللفظ راجع إلى تصرف النقلة : وأروي الأصمعي قوله في هذا المعنى : « يأباني جيدُه وآبى رديئه »

وقد رأى الأستاذ بداري أن الذوق الأدبي يرجح صدور هذه الجملة عن ابن المقفع لا عن الخليل ، لأن الأول أديب كبير وكاتب عظيم ، والثاني إمام لغوي نحوي . وعندي أن هذه العلة التي ساقها الأستاذ حجة عليه لا له

ذلك أن هذه الجملة وما شابهها وردت للتدليل على شيئين :

أولهما : أن ترديد النظر في الشعر والرواية له والإكثار من حفظه ، لا تكفي وحدها لخلق الشاعر ، بل لا بد له قبل ذلك من الملكة الموهوبة والطبيعة المواتية . قال ابن عبد ربه : كان الخليل ابن أحمد أروى الناس للشعر ولا يقول بيتاً ، وكذلك الأصمعي

وثانيهما : أن قرض الشعر والنفوذ إلى أسراره والتفطن لمواضع الجمال فيه ، لا يُنال بحفظ متن اللغة ودراسة العروض والقوافي وعلوم البلاغة . قال ابن رشيق في العمدة : إن أهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته : من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ، ولو كانوا دونهم درجات فكيف إذا قاربوهم أو كانوا منهم بسبب . قيل للمفضل الضبي : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم به ؟ قال : علمي به هو الذي يمنعني من قوله ؛

وأنشد :

وقد يقرض الشعر البكيء لسانه
وتعي القوافي المرء وهو أديب

وقال الأصمعي :

أبى الشعر إلا أن يجيء رديئه على ، ويأبى منه ما كان محكما
فياليتني إذ لم أجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وفي ديوان الصبابة : أن ابن دقيق العيد قال لابن سيد الناس : قل لعلماء المعاني والبيان والبديع : أتحسنون أن تقولوا مثل قول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فإن قالوا لك : لا . فقل : أي فائدة فيما تصنعون . (يريد : أن العمل غير العلم)

فواضح أن الغرض من الجملة السابقة المنسوبة للخليل أو ابن المقفع : بيان أن الشعر لا يملك بالرواية ودراسة العلوم وجمع اللغة ، وإلا لكان الأصمعي والمفضل وأضرابهما أشعر خلق الله بل لما كان أحد أولى من الخليل بالشعر وهو واضع العروض نظام الشعر وسلك القافية ! ونسبتها إلى الخليل أولى من نسبتها إلى ابن المقفع حتى تقوم الحجة على أن اللغة والنحو والصرف والعروض وسائر العلوم اللسانية وما يتصل بها — وهي من سمات الخليل البارزة — لا تجعل غير الشاعر شاعراً . وأما ابن المقفع فكان أديباً كاتباً كما قال الأستاذ ، لا راوية ولا عالماً بالمعنى الاصطلاحي ، فالتمثيل به في هذا السبيل لا يكون ظاهراً ظهوره في الخليل ، لأن الكتابة والشعر يفيضان من نبع واحد ، والعلم شيء وراء ذلك

وإذا صح ورود هذه الكلمة عن ابن المقفع فلا يفهم منها أنه لا يحسن قول الشعر ، فالحق أن له شعراً جيداً — وإن كان قليلاً — ومعروف أن مقطعات الكتاب أرق وأعذب من شعر الشعراء الخلص ، ولكن المراد أن الشعر لا يواتيه كما يواتيه النثر ، فقصر همه على ما هو أجدى عليه

٢ — النحو في الكلام كالملح في الطعام

وردت هذه الحكمة بلفظها في كتب كثيرة ، والغرض منها مشابهة النحو للملح في الإصلاح ، وهو معنى واسع لا غبار

عليه ، وقد تعامله الناس وتلقوه بالتسليم والقبول خلفاً عن سلف ، حتى لقد بلغ من ذيوعه أن العامة في الصعيد يسمون الملح : (المصلح) فلا داعي لأن ينكره الأديب الشرباصي أو يخطئه .

وأما الرواية الأخرى : الهزل في الكلام كالملح في الطعام فلا بأس بها ، ووروودها لا يفيد عدم ورود الأولى ، ويكون وجه الشبه هنا القلة لا التحسين والتمليح كما ذهب إليه الأستاذ البدراوي

وقد نظم أحد الشعراء هذه الحكمة على الرواية الثانية مع وضع المزح موضع الهزل ، فجاء اللفظ أرق وأعف . قال :

أفد طبعك المكدود بالجد راحةً
بمزح ، وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما يُعطَى الطعامُ من الملح

علي الجندي

نظرات بين المجلات

١ — روى الأستاذ الكريم الدكتور عبد الوهاب عزام في العدد ٤١٨ من الرسالة في أثناء دراسته الحافلة بجليل الفوائد عن الشاعر الأبيوردي — روى البيت التالي هكذا :

وقد أخلق الفضل بالعراق وفي فارسَ لما اضمحلت الرتب

والبيت على هذه الرواية غير موزون ولا يستقيم إلا بإحدى اثنتين : إما أن تحذف الواو التي في أوله فيصير هكذا :

قد أخلق الفضل ... الخ ، وإما أن تحذف كلمة (قد) وتبقى الواو التي قبلها ويصبح البيت هكذا :

وأخلق الفضل بالعراق وفي فارس لما اضمحلت الرتب

٢ — يقول الدكتور الفاضل زكي مبارك في العدد ٤١٨ من الرسالة (لقد نُحَّ صوتي في الدعوة إلى اعتراف الدولة بالقيم الأدبية) ويضبط الفعل نُحَّ بضمة على الباء ، والذي أعرفه عن هذا الفعل أن الواجب لغة أن يقال نَحَّ صوتُه بفتح الباء كما نص على ذلك الفيروزابادي والجوهري وأبو بكر الرازي في مختاره ، وقد يعتذر الدكتور كعادته بالذوق في المسائل اللغوية ، وهو عذر لو أخذنا به على علاته لا تسع في اللغة باب الفوضى . على أن في الفعل نَحَّ بفتح الباء لطفاً ورقة لا يوجدان في حالة الضم التي لا تعرف — على قدر ما نعلم — ما يؤيدها في اللغة

٣ — في العدد ١٣٠ من الثقافة القراء دراسة أدبية طيبة ، والدارس الأستاذ جمال الدين الشيال والمدروس الشاعر الشاب تاج الملوك بوري بن الملك الصالح نجم الدين الأيوبي والشعر الذي جاء في خلال هذه الدراسة كله كريم صحيح ، إلا بيتاً واحداً ذكره الأستاذ هكذا :

هذه المعجزات ليست لظبي إنما هذه فعال (عيسى) المسيح

وكلمة عيسى زائدة في البيت

٤ — مقالات العالم الفاضل الدكتور علي عبد الواحد وافي « في الاجتماع اللغوي » : تدل على تمكن في البحث وتوفر على الدرس ، وفيها غذاء علمي كبير ، وهي فوق ذلك لا ترهق القارئ ولا تملّه ... وحبذا لو أطال الكلام على اللهجات التي تفرعت من العربية ، وذكر المستشرقين الذين ألفوا كتباً في قواعد العامية ، فذلك موضوع على اتساعه لا يضيق به علم الأستاذ الكبير .

محمد عبد الغني حسن

عبد القادر حمزة وقومية بحثه وراء الحقيقة

أرجو — بعد التحية — أن تأذنوا لي في تصويب واقعة أخطأت في تحديد زمنها ؛ إذ قلت في مقالي الذي تفضلت « الرسالة » الغراء بنشره بعددها الفائت : « إن أهل الرأي في مصر احتفلوا « بتأبين الفقيد من أيام » ، وأن أسرة الفقيد تحتفل في الرابع عشر من هذا الشهر بإحياء ليلة الأربعين ، وإني أحب بدوري أن أختار هاتين الملاءمتين — التأبين والأربعين — لأثير ناحية من أدب الفقيد) »

ووجه الخطأ واضح في قولي إن أهل الرأي « احتفلوا بتأبين الفقيد من أيام » ، ومرد هذا الخطأ إلى أن لجنة الاحتفال كانت قد أزمعت إقامته في يوم الخميس (١٠ يولية) ؛ ثم عادت فحددت له يوم الخميس (١٧ يولية) ، ولما كنت قد كتبت مقالي قبل الخميس الأسبق وكان عدد « الرسالة » يصدر بعده ، فقد وقعت في هذا الخطأ الذي لا بد أن يكون قراء « الرسالة » قد فطنوا إليه من تلقاء أنفسهم